الحملة الصليبية على الإسلام

في شمال أفريقيا

مسألة تجنيس المسلمين بالجنسية الفرنسية

معلومات قيمة تولّى تدوينها

مكتب الاخبار التونسية

ونشرت أولا فى صحيفة الفتح الاسلامية بالقاهرة

١٣٥٢

المطبعة السلفية ومكتبتها

لصاحبهما محب الدين الخطيب

ايقاظٌ وانذار

الى شباب العرب والاسلام

في جميعِ اقطارِ الارض

مقدمة الناشر



الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

وبعدُ فان الحملة الصليبية التاسعة التى أعلنها الكاثوليك الفرنسيون – من رهبان وساسة – فى المملكة التونسية أثناء عيد الاضحى من عام ١٣٤٨ ونشرنا فيها كتاباً بعنوان (ظاهرة مريبة) مازالت بعد ذلك تمعن فى الشر وتوغل فى العدوان، حتى اذا وافى عيدُ الاضحى من سنة ١٣٥١ صار لهذه الحملة بنادق ورشاشات، ومدافع ودبابات، فأثيرت حفائظ الشعب الاسلامى المسالم، وأرغم على الغضب ارغاما. لأن الذين ارتدُّوا عن دين الاسلام من التونسيين بتحريض رجال الحملة وأذنابهم أرادت السياسة الصليبية أن تغيّر حكم الاسلام فيهم، إغراءً لضعاف القلوب والايمان من المسلمين، حتى يقتدوا بهم ويرتدّوا

مثلهم عن دينهم ، فأوعزت الى من يؤثر العاجلة على الآجلة من علماء السوء ووزراء السوء أن يصنعوا فى ذلك فتوى يقولون فيها الاسلام مالم يقل ، ويحوّلون بها حكمه الى عكس ما أراد الله منه ، فتجددت بذلك معركة من معارك هذه الحملة الصليبية . وكان مكتب الاخبار التونسية يراقب وقائع هذه الكارثة بيقظة وانتباه فدوّنها فى هذه الرسالة ايقاظاً وانذاراً لشباب العرب والاسلام فى جميع أقطار الارض ، وتخليداً للحقيقة فى صفحات التاريخ حتى تعرفها الاجيال الآتية من ابناء الشرق وأبناء الغرب كما وقعت

ان العالم الاسلامىّ كله جسم واحد ، والوطن الاسلامى مهما اختلفت بقاعه فهو وطن للمسلمين جميعاً ، فيجب على كل مسلم أن يكون واقفاً على مايقع فى أى بقعة من بقاع وطنه الاكبر ، ليكون قلبه على اتصال باخوانه المسلمين فيشاركهم فى آمالهم وآلامهم ، ويبقى المسلم ضعيفاً فى رابطته الاسلامية حتى يستكمل العلم الصحيح بسرّاء المسلمين وضرّائهم ، ولذلك نحن نعنى باصدار مثل هذه الرسائل بين حين وآخر

القاهرة ٢٠ صفر ١٣٥٢



الحملة الصليبية على الاسلام

فى شمال افريقيا

محاولة القضاء على الاسلام بتجنيس أهله بالجنسية الفرنسية ، بعد تحديه بالمؤتمر الافخارستى ، وبالقضاء على حرية الصحافة العربية ، ومنع تأسيس جمعية الشبان المسلمين ، والحفاوة بجمعية الشبان المسيحيين ، ومنع المدارس القرآنية للذكور من الازدياد ، وللاناث من التأسيس ، وبتحدي جمعية العلماء المسلمين في الجزائر ، وبالظهير البربرى في المغرب الاقصى ؛ كل ذلك :

ايقاظ وانذار للعالم الاسلامى والعربى

ان ثقتنا بما دبّ في العالم الاسلامى والعربى من شعور واحساس وروح أشعرته بالكرامة ، وسمت به عن التخاذل والاستخذاء ، هي التي دفعتنا الى رفع هذا الصوت مخاطبين به ذلك الاحساس والشعور الشريف ، ومستنجدين تلك الروح التى جعلت حداً بمظاهرها الاخيرة بين ظلمة الماضي ونور المستقبل الفياض بالآمال الزاهرة

ان البرنامج المتحد الذى تهاجم به دولُ الاستعمار ديارَ العروبة والاسلام لم يعد يجهله أحد ، وان اختلفت أوانه وآثاره باختلاف منفذيه ،

فما تقوم به الدول اللاتينية في أفريقيا و بعض بلاد الشرق لا يتفق في لونه مع ما تقوم به غيرها في مالها من مستعمرات وان اتحدمعه في الغاية والاثر

فاذا كانت غير الدول اللاتينية تعتنى بابتزاز ثروة المستعمرات وجهود أبنائها ولا تمتنى بما وراء ذلك — اللهم الا دعاية نصرانية تقوم على مؤسسات حرة أداتها التشويق ومحاولة الاقناع — فان الدول الاستعمارية اللاتينية تعتني بالاستحواذ على مصادر الثروة واحتكار الجهود والتحكم المطلق في مصائر الامم والعمل على تفكيك وحدتها والقضاء على جامعتها لتزول مرة واحدة من الوجود

فالبلاد التونسية منذ نكبت بالاحتلال وفقدان الاستقلال يعمل فيها المحتلون من الفرنسيين — كما يعملون في غيرها — على محو الذاتية الماثل فيها وجود الامة بالقضاء على مقوّماتها ومشخصاتها : من لغة وأدب ودين ، كل ذلك جريا وراء تنفيذ خطة لهم في مذهبهم الاستعماري معلومة ، تلك هي ازالة سلطان المسلمين من هذه الارض التي يريدون اسكان عناصر مسيحية بها يعملون على جلبها بمختلف الوسائل من آفاق الارض ليعمروا بها البلاد ، بدل المسلمين الذين أخذوا ينقرضون شيئا فشيئا بعوامل سياسة الشدة والافقار ، وليجعلوا بعد ذلك من هذه الارض امبراطورية فرنسية كما يقولون

ان هناك فكرة تسود الاوساط الاستعمارية الفرنسية اليوم وهي

تكوين امبراطورية فرنسية من أكبر أجزائها أفريقيا الشمالية - تونس والجزائر والمغرب الاقصى - وما يحيط بها من السوادين . ولما كانت وضعية تونس والمغرب الاقصى السياسية غير وضعية الجزائر ابتدأوا بالعمل على توحيد الوضعية بتوحيد هذه الاقطار والعمل لجعلها قطرا واحداً يسكنه رعايا فرنسيون شريعتهم القانون الوضعي الفرنسي ولغتهم لغة فرنسا بدون شك . ومن الوسائل التي يعتمدون عليها في بلوغ غايتهم هذه مسألة تجنيس سكان هذه البلاد بالجنسية الفرنسية ، ومن المعلوم أن المتجنس بالجنسية الفرنسية لا يمكن أن يكون لحكومته الاسلامية ولا لاميره عليه من سبيل ، وانه في أحواله الشخصية - من زواج وطلاق وإرث وغير ذلك - لا يحتكم الى شريعة الاسلام وانما يحتكم للقانون المدني الفرنسي الذي تخالف أحكامه أحكام الشرع الاسلامي على خط مستقيم : فالطلاق بيد الحاكم ولا يوقعه الا لاسباب أربعة ، والارث على التساوي بين الذكور والاناث ، والزواج بعقد مدني لدى الحاكم الفرنسي ، وتعدد الزوجات جناية يعاقب مرتكبها . والمتجنس زيادة على ذلك يوجب على نفسه برضا واختيار أن يكون جنديا يقاتل تحت الراية الفرنسية حتى المسلمين أنفسهم . هذا زيادة عن كون المتجنس يخرج طائعاً مختارا عن جماعة المسلمين ويوهن قوتهم ويؤيد خصمهم عليهم ويسعى بخروجه في تقوية سلطان الاسلام من بلاد الاسلام وازالة أحكامه

فتحوا باب التجنيس وأقاموا له من نفوذهم وقواهم الوسائل الكافية لادخال الناس فى جنسيتهم واخراجهم عن ملتهم ، وأول طائفة تسللت من نفوذ الاسلام هم اليهود الوطنيون اذ تجنسوا دفعة واحدة فى الجزائر وبصفة فردية فى تونس والمغرب الاقصى فاحتج المسلمون على هذا العدوان من الفرنسيين والعقوق والخروج عن عهد الذمة من اليهود ، ولكن التيار بقى على حاله . وجاء دور المسلمين فى سنة ١٩٢٣ فتجنس نفرٌ منهم بالجنسية الفرنسية وكوّنوا بمساعدة الحكومة المحتلة جمعية لهم تدعى جمعية المسلمين الفرنسيين أخذت تعمل لبثّ الدعوة وتوفير عدد المتجنسين ، والحكومة تنشطها من خلف بشتّى الوسائل

ولما استفتى المسلمون فى تونس علماءهم عن حكم المتجنس فى نظر الشرع الاسلامى حجرت حكومة الاحتلال على العلماء الرسميين الافتاء وبيان حكم الله فى هذا الامر ، فسكتوا وكتموا ما أنزل الله من البينات والهدى ، إلا من رحم ربك فأفتى الشيخ أحمد عياد والشيخ التهامى عمار بردة المتجنس وعدم جواز معاملته معاملة المسلم ، وأفتى بذلك من مصر الشيخ محمد شاكر وكيل الازهر سابقا والسيد رشيد رضا والشيخ علي سرور

ولا تسأل عن تأثير هذه الفتاوى في قضية التجنيس ، اذ لم يتجنس بعدها الا نفر أقل من القليل ، فضاقت صدور أنصار التجنيس من الفرنسيين وأعوانهم ممن يسمون أنفسهم بالمسلمين الفرنسيين

وفي هذه الايام قام أحد زعماء الفكرة وهو النائب موريتو فى مجلس النواب الفرنسى وألقى خطاباً تذمر فيه من قلة عدد المتجنسين واحتج على الحكومة لتقاعسها في هذا الصدد فوعده رئيس الحكومة الفرنسية ببذل أقصى الجهد لاتمام هذا النقص . واتفق أن مات أحد المتجنسين في مدينة بنزرت ، فامتنع المسلمون من قبوله فى مقابرهم لانه مرتد بحكم الفتوى ، الا أن السلطة امتنعت من الاصغاء لهذه المعارضة واستفتت مفتى البلدة الشيخ ادريس الشريف فافتى بالردة وعدم الدفن فى مقابر المسلمين ، فنزل هذا الامر على الحكومة نزول الصاعقة ودفن ذلك المارق فى مدافن النصارى الغرباء

دهش الجماعة من هذا الامر ونقمت السلطة على فضيلة المفتى ووقع استنطاقه ارهاباً له وتخويفاً لغيره ونالت قضية التجنيس بذلك صدمة وأى صدمة ضاق بها صدر الحكومة فأخذت تفكر فى التخلص مما وقعت فيه بسوء تدبيرها ، ووجدت من الوزير الاكبر لسمو الباى وشيخى الاسلام أكبر عون على حل هذا المشكل فدبر ثلاثتهم مؤامرة ضد أميرهم ودينهم ووطنهم ، فتواطأوا على وضع سؤال يلقى من الحكومة على أعضاء المجلس الشرعى فيقع الجواب منهم عليه طبق رغبة حكومة الاحتلال ولو أدى الى انقراض جنسهم وزوال ملك الاسلام وشريعة الاسلام من هذه الديار . واغتنموا عطلة عيد الاضحى لاتمام هذا الامر ومباغتة الامة به ، ولكن الناس علموا ما يدبر لهم فى الخفاء فذهب وفد من الحزب الحر

الدستورى التونسى - يتركب من لجنة الحزب العليا وهم السادة أحمد الصافي المحامى بتونس والكاتب العام للحزب ، صالح فرحات المحامى ، الطيب الجميل المحامى ، الطاهر صفر المحامى ، عز الدين الشريف ، الشاذلى الخلاوى ، محمد الصالح ختاش ، المنصف المنستيرى ، الشاذلى خزندار ، محيي الدين القليبي - ذهب هذا الوفد عشية ثانى أيام العيد الى كل من الوزير الاكبر وشيخى الاسلام و أبلغوهم نص احتجاج الامة على هذه المحاولة وأنذروهم وخامة عاقبتها . و زيادة على ما في هذين النصين فقد قام الوفد بمناقشة المتآمرين فى هذه المسألة ، وأفهمهم جيداً خطورة ما يترتب عليها من دخول المسلمين شيئا فشيئاً فى الجنسية الفرنسية وخروجهم بذلك على سلطان دولتهم الاسلامية واحتكامهم لغير شريعة الاسلام ، وانه بذلك يقضى على المحاكم الاسلامية ودولة الاسلام فى هذه الديار وبين لهم الوفد أيضا غضب الامة من هذه المحاولة الخطرة على حياتها ولكن هؤلاء لم يقتنعوا بما قيل لهم ، اذ كانت تلوح عليهم علامات الغدر بملتهم ودولتهم وسلطة أميرهم الذى ولاهم هذه الخطط

وخرج هذا الوفد من لدنهم وهو مقتنع بعزمهم على ابرام ما ائتمروا عليه . فالوزير الاكبر قال لرجال الوفد : ان مسألة بنزرت وفتوى مفتيها بعدم دفن المتجنس فى مقابر المسلمين استاءت منها حكومة فرنسا أيما استياء ، ولا يخفى عليكم أن دولة فرنسا هنا بمقتضى معاهدة مع أمير البلاد وأمر واقع لا يسعنا انكاره ولا التعرض له بسوء وهو احتلالها لبلادنا ،

وهذا الاحتلال يفرض علينا نحوها آدابا لا بد من مراعاتها وازالة كل ما يخدش فيها . ولما كانت فتوى مفتى بلد بنزرت قد اعتدت على تلك الآداب لانها عبرت عن أن الجنسية الفرنسية شيء قذر لا يقبله المسلمون ولا يدفنون من تلبس به فى مقابرهم ، فيجب والحالة ما ذكر محو هذا الاثر السيء الذي أحدثته الفتوى فى نفوس أبناء الدولة الحامية

وعبثا حاول أعضاء الوفد افهامه أن المسألة دينية وأنها فوق هذه الاعتبارات

ولما رجع أعضاء الوفد ليلا الى مقر الحزب الحر الدستورى قرروا اصدار عدد خاص من جريدة الحزب التي يصدرها باللسان الفرنسي (صوت الامة) وشرح هذه المقابلة ونتيجتها فيه ايقاظاً للشعب وتنبيها الى ما يراد به ويدبر له فى الخفاء وفعلا أصدروا من الغد (الجمعة ١٣ ذى الحجة) عددا خاصا بعناوين ضخمة مفادها أن الجنسية التونسية فى خطر ، وكتبوا فيه كشفا لهذه المؤامرة ، فكان لهذا النبأ صداه . ومن الغد « السبت » كان موعد قدوم سمو الامير الى العاصمة لقبول تهانى رعاياه بالعيد فاقتبله الشعب بمظاهرة ولاء عظيمة امتدت على طول الطريق من محطة الارتال الى القصر العالى وكان عدد المتظاهرين نحو الخمسين ألفا يهتفون على طول الطريق بحياة الجنسية التونسية وسقوط التجنس الاجنبي . وقد اهتز الامير لهذا النبأ الذى لم يكن له علم به ولم يعرض عليه قبل ذلك اليوم . وقد سأل وزيره : ماالمؤلاء ولمسألة التجنيس

وقد طويت صحيفتها قبل اليوم ؟ فأجابه : ان الازمة يا مولاى أضرت بالقوم وان هذا التظاهر بدافع البطالة وعسر الحال . فقال له الامير : انهم ينادون بسقوط التجنيس وهو غير الازمة والبطالة . ولما صعد الامير الى قصره وسط ذلك الخضم من المخلوقات الصاخبة الناقمة وأشرف عليهم من شرفات القصر ليطمئن خاطرهم ، اعتلى أحد الشبان هامات الواقفين وألقى على مسامع الامير خطابا شرح له فيه حقيقة الحال . فاستاء الامير أيما استياء ، وشاهد الناس مشادة وقعت بينه وبين الوزير دُعى على أثرها مدير الداخلية مسيو تيرى وانتقد عليه هذا السلوك وحمله والوزير عواقب ما ينشأ عن هذه الفتنة فخاطبه مدير الداخلية بان في الامكان تفريق هذه الجموع بفرقة من رجال الشرطة . فانتهره الامير قائلا :

— أولئك رعاياى ، أريد أن أسمع تظلمهم ، ولا أريد أن يظلمهم أحد

ورجع الامير بعد انتهاء الموكب الى قصر حمام وشيعه جمع عظيم من شيوخ العاصمة — من علماء وأعيان وأشراف — وأعينهم باكية وهم فى حالة من الهلع أحزنت الامير وأبكته ، لانهم كانوا يستغيثون من العبث بأحكام الدين والعمل على ارتداد المسلمين بواسطة التجنيس . وكان الامير طول الطريق يبكى لبكائهم ويلاطفهم ويهدىء روعهم الى أن امتطى الرتل الى قصر الشتاء

ومن الغد صدرت الصحف ملأى بأنباء هذه المظاهرة العظيمة ، مرددة أصوات الاحتجاج الواردة من جهات المملكة وعلى الاخص

جريدة الحزب الحر فانها كانت مملوءة بعرائض الاحتجاج الواردة من أطراف البلاد التونسية

وفى يوم الاثنين شاعت أراجيف مفادها أنه وقع سحب الاستفتاء وبطل العمل به ، وانه سيبقى ما كان على ما كان ، الا أن الحزب علم من مصدر وثيق أنه قبل ظهر يوم الاثنين بساعة سلمت جميع الاجوبة على الاستفتاء من طرف المجلسين الحنفى والمالكى ولم يشذ عن الجواب الذى يرضى الحكومة الا الشيخ عبد العزيز جعيط من شيوخ الافتاء المالكية ، والشيخ حميدة بن مراد والشيخ محمد بن الخوجة من شيوخ الافتاء الاحناف ، فقد علق أولهم وهو المفتي المالكى قبول توبة المتجنس ورجوعه الى حظيرة الاسلام على رجوعه الى الاحكام الشرعية والجنسية التونسية ، وهو أمر مستحيل قانونا ، وامتنع المفتيان الحنفيان من الموافقة على الاعتراف بقبول التوبة لاستحالة رجوعه الى أحكام الاسلام قانونا ولما تيقن الحزب استلام الحكومة للجواب المصطنع قرر ارسال لائحة الى وزارة الخارجية الفرنسية تبين رأى الامة . ومن ذلك الحين أخذت الاجتماعات العظيمة تتوالى بأندية الحزب والخطباء فيها يشرحون الموقف الحرج الذى تجتازه البلاد بتأثير أعمال الوزير وشيخى الاسلام

وأعلن طلبة جامع الزيتونة (الكلية الدينية الكبيرة بشمال أفريقيا) ويقدر عددهم بنحو ثلاثة آلاف وخمسمائة طالب أنهم قرروا الاضراب عن الدروس الى أن يتخلى عن ادارة الكلية شيخ الجامع الحالى وهو

شيخ الاسلام المالكى المسمى الطاهر بن عاشور . وكبر هذا الامر على الوزير وعلى شيخى الاسلام لما يعلمانه من سوء الاثر الذى سينشأ عن هذا الاضراب ، وعبثا حاولوا ابطاله بشتى الطرق

وفى يوم الجمعة قرر الناس عدم الاقتداء فى الصلاة بجميع الائمة الذين شاركوا فى هذه الفتوى ، وان لا تقام الصلاة وراءهم ولا وراء نوابهم بالجوامع التى هم أئمتها ، فأصبحت خاوية على عروشها ، وصلى الناس وراء غيرهم صلاة الجمعة وأقيم ذكر اسم « اللطيف » فى الجوامع الكبرى احتجاجا على هذه الفتوى ، وذكر الناس ربهم بلسان واحد قائلين « يا لطيف يا لطيف ، ألطف بديننا الحنيف » وقد تأثر الناس من اجراءات علماء السوء و اجراء السوء وازداد حماسهم وسخطهم على أولئك الشيوخ الذين صاروا محل الزراية والاذى من اخلاط القوم فاذا مروا بشارع تناولتهم الالسنة بما يشين الكرامة ويزرى بالشرف

وأشيع فى عشية الجمعة أن أحد المتجنسين قد مات بنهج الحفير ، وان الحكومة تحاول اخفاء موته لتدفنه فى مقابر المسلمين ، فتجمهر الناس حول دار هذا الرجل المصاب بداء النقط وقد نزل به هذا المرض المهلك عند ماوصلته أوراق تجنسه . ولما خشيت عائلته سخط الجماهير استنجدت القوة الحاكمة فأنجدتها بالبوليس وجنود الدرك المدججة بالسلاح ، فامتلأت بهم الشوارع فى ذلك المساء ، وزاد قدوم القوة فى حماسة الناس وتجمهرهم . ولما خيم الليل وقع اصطدام بين القوة والشعب بسبب تضارب أحد

المتظاهرين مع ضابط من كبراء قوة الدرك ضرب الضابط الرجل فأدماه فتخطف الناس الضابط وأشبعوه ضربا ، فاستنجد جنود الدرك بالجيش فحضرت منه كوكبة مسلحة الى تلك الساحة التى أخذت تعج بالناس فى ظلمة ذلك الليل ، وأسفرت المشادة فى صبح ذلك اليوم عن ١٦ جريحاً من الجند والمتظاهرين . وقبض على ٢٧ من التونسيين زجوا فى السجن. وما أصبح الصباح حتى امتلأت تلك الساحات والبطاح بالجنود السود مشاة ،وركبانا من الافرنسيين ، ودارت فى شوارع العاصمة وفى الحارات الاسلامية منها بالخصوص المدافع الرشاشة والدبابات وأطلقت البنادق فى الفضاء ارهابا للناس ورغبة فى تفريقهم . ولكن هذه الرغبة أتت بعكس المقصود فازداد الازدحام وامتلأت الشوارع كافةً بالمتظاهرين وبدأت علائم الشرّ تلوح على الوجوه ، وكانت قوات الحكومة قد أوعزت اليها الادارة بتكوين حوادث دموية فى ذلك اليوم الرهيب لأنهم لم يتركوا وسيلة لاثارة حفائظ الناس لم يستعملوها ، ولكن الشعب المتظاهر قابل كل تلك المحاولات بما عهد فيه من صبر وأناة ، فكنت ترى جنود الدرك والبوليس ، وحتى رؤساء هذه القوات ، يمعنون فى ضرب الناس على وجوههم حتى أدموا الكثيرين منهم وأحدثوا لهم أضراراً كثيرة فنقل الكثير منهم على أثرها الى المصحات والمحلات التى أعدت خصيصا لمعالجة منكوبى المظاهرة

وحدثت عدة اصطدامات بين الجند والمسلمين فى أثر هذه الاعتداآت

الفظيعة الصادرة من الجنود وأعوان الحكومة استعمل الجند فيها سلاحهم ورجال الشرطة عصيهم ، واستعمل الناس الحجارة والعصى في جهتهم أيضا ، واستمر الحال هكذا بين أخذ ورد الى الليل ، ودام الامر كامل تلك الليلة وصباح الغد وعربات السجن تحمل الجموع اليه وعربات الاسعاف تحمل المنكوبين الى ما بعد ظهر الاثنين

وفى عشية يوم الاثنين رغب الناس فى الذهاب الى قصر حمام لمكاشفة سمو الامير بما حل برعاياه. وعارض الحزب الحر الدستورى فى تنفيذ هذه الفكرة وفضل عدم ادخال ملك البلاد فى هذه الخصومة حتى لا يقع استعمال نفوذه فيها ضد ارادة الشعب بتأثير ادارة الاحتلال . وفعلا فانه لم يذهب الا نحو الثلثمائة شخص فقط تجمهروا أمام قصر الامارة هاتفين بسقوط التجنيس والفتوى المفتعلة على الدين . واتفق أن كان هناك نائبان فى البرلمان الفرنسى قدما الى تونس بقصد السياحة والاطلاع ، فقدمها المقيم العام فى ذلك المساء الى سمو الباى فشاهدا ذلك الهتاف والتظلم . وقد تأثر المقيم من هذه الصدفة السيئة فأفهم ذينك النائبين غير الحقيقة من تلك المظاهرة ، فصرح أحدهما للصحف بما يدل على تبرمه مما شاهده من عدم الاخلاص لفرنسا رغما عما عرفت به من تسامحها الدينى !

ومثل وفد من أولئك المتجمهرين أمام سمو الامير ، وقدم له عريضة بما لقيته الامة . وكان الوزير حاضرا هذا الموطن وكان للاقوال التي قيلت لسمو الباي تأثيرها على نفس الوزير بطل هذه المأساة فرآها فرصة سانحة

للاتحاد مع المقيم العام ضد ارادة سمو الباى فجاءا اليه من الغد : الأول يهدّد ويتوعد باسم حكومته وقوتها وعظمتها وجندها وسلاحها ، والآخر ينصح للامير بتعديل الموقف خشية حدوث ما لا يسرّ . وقد تليت فى هذا الموطن على سبيل التبرك والانتفاع قصة سلطان المغرب مولاى عبد الحفيظ . وبعد جدال ومناقشة دامت ساعتين ونصفا اذن الامير لوزيره بأن يعمل ما يهدىء روع الناس ، وما يرجع الأمن والطمأنينة الى ما كانا عليه ، فخرج الوزير فرحا بهذا الانتصار الذي أحرزه ووضع خطة التنفيذ بمعية مدير التشريفات مصطفى صفر عدوّ الحركة الوطنية القديم . وكانت الخطة اخراج تصريحات على لسان حاجبي الامير يعربان فيها عن أفكار سموه فى هـذه المشاكل ، ثم اصدار بلاغ من الوزير على لسان سمو الامير يكون حاسما لمادة النزاع على رأى الوزير الاكبر . وتولت جريدة النهضة التى تخدم ركاب الوزير ومشيخة الاسلام نشر هذين البلاغين فكاد يحدث بسببهما الفشل فى الشعب لما اشتملا عليه من تغيير فى الموقف ولكن القابضين على زمام الحركة منعا هذا التأثير من التسرب الى الافكار وبادر الحزب حالا بالرد عليه وخاطب الشعب بوجوب الثبات والاستمرار على حركة الاحتجاج الى أن يقع حل هذا المشكل بما يرضى التونسيين المسلمين

وهناك حادثة استغلها الوزير وأثر بها على سمو الامير لا بد من ذكرها هنا بايجاز لان البلاغ الاول يصرح بها والثانى يشير اليها ، وهى

حادثة الخلاف الذى وقع فى العام المنصرم بين سمو الامير ووزيره السابق خليل بو حاجب وشيخ الاسلام السابق حميدة بيرم وصورة هذا الخلاف ان حملة صحفية عنيفة أقامها الوطنيون ضد الاحتفال بمرور خمسين عاما على الحماية الفرنسية بتونس فأراد المقيم العام أن يرفع قضية على القائمين بها من رجال الحركة الوطنية وفعلا وقع تتبع هؤلاء وصح العزم على اصدار أحكام قاسية عليهم ، فأذاع أعداء ذلك الوزير أن الموعز بهذا التتبع هو الوزير التونسى نفسه ، فقامت حملة ضده فى الصحافة وحدثت مظاهرات عظيمة كانت نتيجتها حفظ القضايا وارجاع الصحف المعطلة ومنها النهضة وصادف أن وقع الخوض اذ ذاك فى مسألة اصلاح نظام التعليم بالجامع الاعظم فكان شيخ الاسلام السابق من المعارضين فيه فاغتنم الفرصة شيخ الاسلام الطاهر بن عاشور خصم شيخ الاسلام المذكور وأثار ضده حملة فى الصحافة باسم اصلاح الجامع وتحت عنوان ارادة الخير لهذا المعهد الاسلامى الكبير ، فأصبحت الحملة متجهة نحو شيخ الاسلام ونحو الوزير الاكبر فتساندا للدفاع عن موقفيهما وكانت لهما منزلة لدى حكومة الاحتلال، ولكن الامير صمم على عزلهما فعزلا وتولى بدلهما الوزير الحالى الهادى وشيخ الاسلام الحالى محمد بن يوسف والطاهر بن عاشور انتصب شيخا للاسلام فى المذهب المالكى وشيخا للجامع بعد أن تم أمر اصلاح التعليم فيه على ما يؤمله ويرجوه . ونظرا لما لاقاه الامير في مسألة عزلهما من العنت من حكومة الاحتلال فقد أصبح لايحتمل ذكرهما . ولما جاءت

هذه الحوادث قال الوزير لسمو الباى : ان هذه الحركة يغذيها الوزير السابق وشيخ الاسلام ليحلاحلى ومحل الطاهر بن عاشور نخاف سمو الباى أن تكون هذه هى الحقيقة وان يصبح يوما ما أمام أمر واقع . وبهذا الأمر نجح الوزير واستخرج الاذن من سمو الامير باصدار ذلك البلاغ الذى لم يخلُ من الاشارة الى هـذه الدسيسة بينما المسألة لا تخرج عن الاحتجاج على الافتاء بقبول توبة المتجنس ومعاملته معاملة المسلمين بينما هو لا يحتكم الى شرعهم ولا يمتّ الى جامعتهم بسبب



حوادث التجنس

فى أنحاء الايالة التونسية

قصبة بنزرت

بينما الحوادث تجري فى العاصمة التونسية كما مرَّ فى الفصل السابق اذا بحوادث أخرى أفظع منها تقع فى قصبة بنزرت « فيريفيل » ذلك أن أحد المتجنسين فيها ـ وهو المسمى عيسى بوعقلين ـ توفي وأرادت الحكومة دفنه غصبا في مقابر المسلمين ، رغما عن كونه لا تنطبق عليه الفتوى المفتعلة ، على فرض التسليم بصحة ما جاء فيها من أن المتجنس اذا حضر لدى الحاكم الشرعي وأشهد على نفسه أنه تبرأ من جميع الاديان ونطق بالشهادتين تقبل توبته بعد ردّته ويعامل معاملة المسلمين ولو مع بقائه على الاحتكام الى غير شريعة الاسلام . ولما عارض مسلمو قصبة بنزرت فى دفنه بمقابرهم عمدت الحكومة الى فرقة كاملة من الجند أرسلتها ليلا على هذه البلدة بخيلها وسلاحها وأمطرت المتجمهرين وابلاً من رصاص الرشاشات والبنادق واستمر اطلاقها من الساعة ١٠ ليلا الى السادسة صباحا فخربت عدة أماكن وجرح الكثير من مسلمى البلدة الوادعين المسالمين ، ومن الغد زيد فى عدد الجند والسلاح وحوصرت البلدة ومنع الداخل فيها والخارج منها ، وقبض على كافة المنتمين للحزب الحر

الدستورى بها وأودعوا السجن ، ثم حملت جثة المتوفى تحت السيوف والبنادق والرشاشات فى مساء ذلك اليوم ، وصلى عليه عامل بنزرت محمد بن الخوجة لعدم وجود من يصلى عليه من المسلمين ، وغسله أحد أعوان العامل المذكور ودفن في قبره الاول من نوعه لانه محاط بالاسمنت والحديد خوفا من نبشه بعد دفنه ، وأقيم عليه حرس من الجند لا يزال قائما الى الآن

ثم أرسلت الحكومة الجند على بيوت سكان القرية بدعوى التفتيش على السلاح الموجود فيها ، ففتكوا بأهلها وشرّدوا نساءها وصغارها يهيمون فى الجبال ، وكسروا كل ما وجدوه من أمتعتهم وأبادوا كل ما ادخروه من أقوات وفى ٢٧ بيتاً فتشوها ولم يعثروا الا على أربع قطع من السلاح المرخص فى حمله للحراسة والصيد فحجزوها ، ولا تزال البلدة على روعها محاطة بالجند المدجج بالسلاح والرقابة مضروبة على أهلها والذين أودعوا السجن لايزالون بها لحد الآن ، وقد تطوع للدفاع عنهم محامون من رجال الحزب

فى منزل جميل

وفى هذه القرية متجنس منعه مسلموها من دخول المسجد لارتداده بالتجنس عن دين الاسلام ، فرفع أمره الى حاكم البلدة وفي أسرع من لمح البصر زحف عليها الجند وأجبروا سكانها على ادخال المتجنس للجامع

فتركوه والجامع وأقاموا صلواتهم فى أماكن أخرى من البلدة وبقى الجند مرابطا الى الآن

بنزرت

أخذت السلطة الفرنسية فى هذه البلدة تحقق مع الكاتب العام لشعبة الحزب الحر الدستورى هناك السيد الطيب بن القايد حسين وثلة من أحرار البلدة بشأن توقيعهم على عرائض الاحتجاج الموجهة للحكومة ضد الفتوى المتعلقة بالتجنيس ، ولا يزالون فى استنطاق وهم بحالة سراح الى الآن ، وقد وقع تهديدهم بالسجن والابعاد ان هم عادوا لمثل هذه الخطة

ماطر

تظاهر سكانها وهتفوا في جموع عظيمة بسقوط الفتوى ، واجتمعوا فى جامعها لذكر اسم الله « اللطيف » اظهاراً لامتعاضهم مما نزل بالاسلام وأهله من محنة ، وأخذت الادارة هناك تحقق مع رجال الحزب الحر فيها وبالأخص زعيم الحركة هناك السيد حمودة ميهوب الذى هدد بالابعاد عن الوطن التونسى بتهمة اثارة القلاقل به فى كل مناسبة

فريانة

أضرب أهالى هذه البلدة عن العمل يوما كاملا ، احتجاجاً على فتوى التجنيس ، وأرسلوا برقيات بذلك الى المراجع العليا كما أبرقوا الى الحزب

يؤيدونه فى موقفه ضد الفتوى والتجنيس فنقمت السلطة عليهم هذا الامر وأمرت لهم الايقاع بهم ، واتفق أن حدث من الغد حريق في مناشر الحلفا فأجبرت السلطة أهالى البلدة ـ كما هى عادتها ـ على اطفاء ذلك الحريق فامتثلوا ، ولكنهم بمجرد الشروع فى العمل سمعوا أصحاب الحلفا الفرنسيين واليهود يشتمون دين المسلمين ظنا منهم ان الذى أضرم النار من مسلمى القرية فاحتج المسلمون على هذا الاعتداء وازاء احتجاجهم استنجد عامل الجهة الجيلانى بن رمضان الذى كان من الوطنيين ثم صار عاملاً لحكومة الاحتلال بقوة الجند والدرك فأرسلت اليه قوة من سوسة وأخرى من قفصة وقبض على المنتمين للحزب فى القرية وزجوا في السجن فاحتج رفاقهم وأرادوا أن يدخلوا السجن معهم اعلانا لتضامنهم فما كان من جنود الدرك الا أن ضربوهم الضرب المبرح وأدخلوهم السجن ودخل العامل عليهم السجن وأخذ يضربهم بهراوة كانت بيده ومن الغد سيق خمسة منهم الى سجن مدينة سوسة حيث أحيلوا على محكمتها الفرنسية لتحاكمهم بصفتهم متهمين بضرب جنود الدرك وأطلق سراح الباقين ووضعت عليهم الرقابة من عيون الحكومة وأعوانها السريين

قفصة

وفى قفصة أغلقت البلاد يومين كاملين وأضرب عن العمل فيها وتظاهر السكان مع من وفد اليها مما حواليها من جموع العربان وطافوا شوارعها وذهبوا الى ادارة الحكومة وقدموا اليها عرائض احتجاجهم

ضد العبث بالدين الماثل في فتوى توبة المتجنس وقبولها ، وأرسلوا عرائض الى سمو الباى وشيخى الاسلام بتونس والى مركز الحزب الحر الدستورى يؤيدونه فى موقفه ويعاضدونه فى دفاعه . وقد أجرت الحكومة أبحاثا ضد المتسببين فى هذه المظاهرة الا أنها الى الآن لم تسجن منهم احدا

توزر

احتجت هذه البلدة بالاضراب عن العمل أيضا وبالتجول فى الطرقات رغم اعتراض السلطة ومحاولتها حل المظاهرة ، وسلم المتظاهرون عرائض الاحتجاج لرجال السلطة هناك وأبرقوا الى تونس لسمو الباى وشيخى الاسلام وادارة الحزب الحر أيضا

نفطة

ولم تتخلف نفطة عما قام به أهل قفصة وتوزر بل كان فيها ما كان فى جارتيها أيضا من مظاهر الاحتجاج والاستنكار

وأرسل أهالى المناوى . ودقاش . والحامة . والمطوية . وقابس . وجربة . وجرجيس . والجم . والمهدية . والسواسى . وجبنيانة . والكاف وباجة . ورأس الجبل . وعوسجة . والعالية . وغار الملح . وحاجب العيون . وأبة كسور . والقليبية . ومنزل تميم . ودار شعبان وغيرها من أمثالها من البلدان عرائض وبرقيات الاحتجاج الممضاة من طبقات سكانها فكان لها الوقع العظيم

سوسة

وفى صبيحة الثلاثاء ٢٣ ذي الحجة ١٣٥١ أصبحت عاصمة الساحل (سوسة) مضربة عن العمل مغلقة دكاكينها وبكر الناس فيها الى جامعها الكبير، وبعد أداء فريضة الصبح أخذ المصلون في تكرار اسمه تعالى «اللطيف» ثم خرجوا من الجامع الكبير فى مظاهرة عجت بها أكبر شوارع هذه العاصمة، وسارت المظاهرة بين هتاف الرجال وولولة النساء والمناداة بسقوط الفتوى والتجنس وبحياة وبقاء الجنسية العربية التونسية وقصد المتظاهرون دار عامل البلدة ومراقبها المدنى حيث تقدمت لجنة منهم الى كل من العامل والمراقب وسلمته عرائض الاحتجاج وتلت على مسامعه خطابا مؤثراً في الموضوع . وقد أحيطت هذه الجموع بجيوش جرارة من العساكر شاكى السلاح وكذلك البوليس والدرك وقد حاولت هذه القوات تفريق الجماهير المحتشدة ولكن بدون جدوى وبقيت البلدة على هذه الحال الى آخر النهار .

مساكن

وكان على أثر مظاهرة سوسة قام سكان بلد (مساكن) بمظاهرة كبيرة واجتماع فى جامع البلدة وقدموا عرائض احتجاجهم لخليفة العامل عندهم ووقع الاضراب عن العمل كامل اليوم أيضا

القلعة الكبيرة

تظاهر سكان (القلعة الكبيرة) من الغد أيضا وأضربوا عن العمل وأبلغوا عرائض احتجاجهم الى خليفة العامل ببلدتهم أيضا

المكنين وقصر هلال

اجتمع من الغد سكان هاتين البلدتين المتجاورتين وقاموا بمظاهرة كبيرة خطب فيها الخطباء بما يناسب الموضوع وسلموا عرائض احتجاجهم لكاهية العامل هناك

وقد أيدت بلدان الساحل هذه فى احتجاجاتها صفاقس والقلعة الصغيرة واكودة وحمام سوسة والقصيبة والمنستير والساحلين وطبلبة ولمطة وقصور الساف وطبربة ومجاز الباب والكريب وسليانة

وبالجملة فانه لم يبق بلد من بلدان المملكة لم يحتج ضد هذا الصنيع وأصبحت البلاد على أشد حالة من الاضطراب والقلق خصوصا عندما قابلت الحكومة مظاهرات الشعب السلمية الهادئة بالجند والسلاح

المحاكمات

أول محاكمة هى التى احيل فيها ١٧ رجلا من المتظاهرين بتونس على المحاكم التونسية وتطوع بالنضال عنهم الاساتذة صالح فرحات الكاتب العام الثاني للحزب والطيب الجميل العضو الاول بلجنة الحزب فاطلق سراحهم وحكم عليهم بغرامات مالية تتراوح بين المائة والمائة

والخمسين فرنكا مع مصاريف نشر الدعوة

ثم محاكمة الذين أحيلوا على المحكمة الفرنسية لتضاربهم مع ضباط الجند وجرح البعض منهم وهؤلاء ناضل عنهم الاساتذة الطبيب الجميل المذكور والطاهر صفر ومحمد بورقيبه وعز الدين الشريف . وقد وقعت مشادة بين المدعى العمومى والاستاذ صفر كادت تؤول الى ما لا تحمد عقباه ، لأن الاستاذ صفر قال ان رجال الحكومة من جند وبوليس وغيرهم هم المعتدون لا هؤلاء العزل المسالمون الذين جئتم بهم الى هنا ، فصاح المدعى العمومى انك تتهم الحكومة وقد أقسمت اليمين على احترامها عند ما رخص لك فى المحاماة ، فأجابه : انما أقسمت على احترام العدل والحق لا الحكومة وعندها صاح المدعى العمومى مستنجدا بالرئيس أن يسكت هذا المحامى ، فصاح الرئيس : اني أمنعك من الكلام ان مررت على هذا الاسلوب فى المرافعة ، فقال الاستاذ صفر عضو اللجنة التنفيذية للحزب : ان مهمتى هى الدفاع وأن القانون يعترف بوجود معتد ومعتدى عليه والمعتدي هنا هو الحكومة في نظرى فيجب أن أقلب الدعوى عليها بفائدة الموكل المعتدى عليه حتى يتضح الحكم وينزل العدل منزلته وكلنا يحترم العدالة ، واستمر الاستاذ فى مرافعته وتلاه الآخرون ولم يفسد هذا الجو الا مرافعة أحد المحامين المسمى محمدعلى بن مصطفى بن خير الله ابن مصطفى الذى لعبت فرنسا على يده وبواسطته والوزير الجلولى سابقا ذلك الدور الذي آل الى استعفاء الباى محمد الناصر رحمه الله واخ الشاذلى

خير الله الذى كان في صفوف الوطنيين ثم لعبت به أيدى أذناب الحكومة فرموا به في هوة الخروج عن الحركة الوطنية وطعنها فى الصميم . وقف هذا الارعن مدافعا عن أحد المتهمين فقال : انى أخجل من الوقوف أمامكم أيها السادة مدافعاً عن هؤلاء الذين آذوا سمعة فرنسا فى جنسيتها، وانما أقول لكم انهم بسطاء دفعهم آخرون الى هذا الاجرام وأرجو أن لا يتكرر هذا العدوان بين من تقلدوا جنسيتكم وبقوا على ديننا الخ فامتعض من هذه المرافعة حتى اليهود والافرنج الذين حضروها وكان لها الوقع السيء لدى كافة التونسيين

وأخيرا حكم على أحد المتهمين بعامين سجنا وعلى اثنين بعام لكل واحد وعلى اثنين آخرين بعام ونصف لكل واحد أيضا ، والبقية من ثمانية أشهر الى أربعة أشهر سجنا ، وقد استأنف أكثرهم الحكم الى محكمة الجزائر الفرنسية

وبعد هؤلاء جاء دور محاكمة المتهمين فى فريانة المحالين على محكمة سوسة وسافر من تونس للنضال عنهم الاستاذ الطاهر صفر وناضل عنهم فى سوسة الاستاذ الطيب القسام وحكم عليهم بمدة تتراوح بين العامين والعام مع ما يقرب من الاربعة آلاف فرنك غرامة لكل منهم . وسبب الحكم بالغرامة هو ما طلبه المدعى العمومى هناك من قوله ان هؤلاء فى الحقيقة لا ذنب لهم والمجرمون الحقيقيون لم يصلوا الى قفص الاتهام بعد، فيجب أن يشملهم الحكم بوضع غرامة يدفعها أولئك الذين دفعوا هؤلاء

لوقوف هذا الموقف . وكذلك كان ولكن المحكوم عليهم استأنفوا الحكم الى محكمة الجزائر الفرنسية أيضا

وبعد هؤلاء أحيل نحو ٢٧ على محكمة المخالفات فحكمت عليهم بغرامات مالية خفيفة مع اخلاء سبيلهم

القيروان

ولم تتخل عن هذه الحركة عاصمة الاغالبة والعبيديين ، ومحط رحال أصحاب الرسول الاعظم ﷺ من الفاتحين ، فقد أغلقت المحلات التجارية كلها وتجمهر الناس صباحا في مقام الصحابي الكريم أبي زمعة البلوى رضى الله عنه وخرجوا من هناك حاملين الاعلام الوطنية يتقدمهم سيد شباب القيروان الشريف ابن الشريف السيد الشاذلى عطاء الله وطافوا المدينة وتقدموا الى دار العامل والمراقبة المدنية فوجدوا المراقب بالباب يخاطبهم بلسانه الفرنسي : قدّموا الى وفداً منكم فتقدم ثلاثة — منهم السيد الشاذلى عطاء الله — فزجهم فى السجن وأحاطت الجنود بالمتظاهرين فجأة وأخذوا يضربون الناس على وجوههم بمؤخرة البنادق حتى أدموهم والمراقب بعصاه يمعن فيهم ضرباً وشتما وأخذ أعوان البوليس يزجون الناس فى السجن ، وبقى الناس على هذا الحال كامل ذلك اليوم . ومن الغد أحيل ثمانية من الموفدين على المحاكمة وأطلق سراح الباقين . وبعد أيام أطلق سراح السيد الشاذلى عطاء الله وأعلنت محاكمة الباقين فسافر للنضال عنهم السيد الحبيب بورقيبة والاستاذ صالح فرحات فحكم المجلس

باطلاق سراح أحدهم وبالتخلي عن القضية المحكمة الفرنسية في الباقين لان القضية سياسية وعملا بقانون عام ١٩٢٦ تحال كل القضايا السياسية على المحكمة الفرنسية .واستأنف المحاميان هذا التخلي الى محكمة الوزارة بتونس

وكادت التحقيقات مع الموقعين على البرقيات والعرائض ان تعم كامل الايالة ولا ندري ماذا تكون نتيجتها بعد

وفاة زوجة رئيس المتجنسين

وبينما الحالة لم تستقر بعد على قرار اذا بنبأ يثير العاصفة من جديد، ذلك هو نبأ وفاة زوجة عبد القادر القبايلي رئيس جمعية المتجنسين من التونسيين المسماة (جمعيـة المسلمين الفرنسيين) وهذه المرأة متجنسة أيضاً بالجنسية الفرنسية ورغماً من اشارة أهلها على زوجها بدفنها في احدى المقابر المتروكة فانه صمم على دفنها بمقبرة الجلاز تحدّيا للمسلمين الذي نصب نفسه عدواً لهم اعتماداً على ولائه وانحيازه الى الفرنسيين. وما كاد يذاع خبر موتها ليـلا بشاطىء حلق الوادي حيث سكناها حتى اجتمعت حول دارها مظاهرة من الفيف عملة المكان ليـلا وأنذروا زوجها بانه لا يمكنهم أن يتركوه يضعها بمقابر المسلمين، فاستنجد بجنود الدرك فأنجدته الحكومة بقوة منهـا « بضباطها » وجاء عامل أحواز الحاضرة التونسية ومراقب تونس وباتوا عنده كامل الليل ومن الغد لم يجدوا من يغسل المرأة لان الغاسلات امتنعن من غسلها لاعتبارها مرتدة

عن الاسلام فصبت عليها احدى قريباتها الماء وصلى عليها عمها بالدار ،
ورفعت على سيارة وما كادت تصل الى مقبرة الجلاز بتونس حتى وجدت
الجموع المتراصة تحمى المقبرة ، وتمنع هذه المتجنسة من أن تدفن فيها ،
وجاء الجند والرشاشات والمدافع والدبابات وأخذت هذه القوة تفرّق
الناس وتحمى الجثة وكان الناس قد هدموا القبر الذى أعد لدفنها وصاحوا
بسقوط القبائلى ومشروع التجنيس وما جاءت الساعة السادسة حتى
دفنت هاته الجثة تحت السيوف وأفواه البنادق والرشاشات وأبقوا فرقة
من الجند تحرسها الى ساعة كتابة هذا خوفاً من أن تخرج من القبر
ووقع اعتقال الكثيرين من المشتركين فى المظاهرة

استنطاق رجال العلم

ولما أعيت شيخ الجامع الحيلة فى حل الاعتصاب الصادر ضده من
طلبة جامع الزيتونة وأثر هـذا الاضراب على مركزه ومركز الوزير
الا كبر معه وقوبل من الامة بالسخط والغضب عمد الى استعمال كافة
الوسائل لمعـالجة الموقف فلم ينجح وكان المدرسون بالجامع الاعظم قد
امتعضوا من سلوك رجال الافتاء نحو الدين و الوطن فارادوا أن يرفعوا
المعرة فأجمعوا على وضع فتوى تعارض الفتوى الاولى فلما بلغ هذا الامر
شيخ الجامع اتهمهم بأنهم المثيرون للاعتصاب والمحرضون على الاضراب
فما كان من الحكومة الا فتح بحث ضدهم فى هذا الشأن ولكنهم أظهروا

في هذا الامر شجاعة كانت مضرب الامثال لانهم صرحوا بكل مايعتقدونه وتعتقده الامة في شيخ الجامع ونشروا الفتوى المعارضة بعد هذا البحث وكان لها صداها حتى أن سمو الباى قد تأثر بما جاء فيها وطالب بالحاح احداث مقبرة خاصة بالمتجنسين اعتمادا على الحكم بردتهم وعدم صحة قبول توبتهم ولا زال هناك أخذ ورد بين سمو الباي والمقيم العام في هذا الامر

ولا يزال الاضراب عن الدروس مستمرا الى اليوم وقد بارح أكثر الطلبة العاصمة امعانا فى الاضراب وتحقيقاً لعدم العودة الى الدروس إلا أن يعزل شيخ الجامع الذى أفتى فى دين الله بغير ما أنزل الله. وقد عمد أخيرا شيخ الجامع الطاهر بن عاشور الى كتابة مكتوب فيه اعلان الثقة به وسلمه الى أحد أذنابه يطوف به على المدرسين ويطلب اليهم التوقيع عليه فامتنعوا عن ذلك وتبرأ والد هذا الطائف من أعماله وقبحها على صفحات الصحف

وتدور اشاعة فى البلاد مفادها أن المقيم العام عازم على وضع البلاد تحت حالة الحصار وإبعاد كافة المشتغلين بالحركة الوطنية الى خارج المملكة وقد تأيدت هذه الاشاعة بعدة أمور منها ورود كاعيبة رئيس لجنة الامور الخارجية بفرانسا م. فرنوت الى تونس لاجراء بحث فى أسباب الحوادث الاخيرة واستفيد من محادثاته أن هناك تقريراً أرسله المقيم العام فى الحوادث الاخيرة ينفر فيه الحكومة بشر مستطير ويقول يجب

أن تطلق يده فى البلاد ليعمل تحت مسئو ليته مايريد ولكن لجنة الامور الخارجية أبت أن تطلق يديه مالم تتبين الموقف جيـدا فأرسلت أحد أعضائها للبحث وقد استقبل هذا العضو من لدن الهيئة الرئيسية للحزب الحر وقررت له الحالة كما هى ونظرية المسلمين فيها وهو الآن يطوف أنحاء المملكة يبحث ويستعلم عن الحالة هناك

هذه خلاصة ماوقع من الحوادث لحد ساعة كتابة هـذا وفى عزم التونسيين أن لايتركوا متجنساً يدفن فى مقابرهم إلا بالقوة القاهرة وبالامر الذى لايستطيعون له دفعا ولا يعلم إلا الله ماذا ينجم عن هذه السياسة الخرقاء التى تتبعها حكومة فرنسا نحو المسلمين فى شمال أفريقيا

خاتمة

ان المسلمين فى تونس قد دافعوا بمـا يستطيعون عن عروبتهم واسلامهم وقد كانت نكبتهم هذه المرة على أيدى علماء الدين منهم وحاشا للدين أن يرضى بهذا الانتساب اليه . وكانت حجة فرنسا الوحيدة هى فتوى الشيوخ بتونس فتونس اليوم تستصرخ العالم العربى والعالم الاسلامى وتستنجده للدفاع وعسى أن يجد صوتها المتهـدج آذانا صاغية وقلوبا واعية من رجال الدين والسياسة ومن عامة المسلمين والله ولى المؤمنين

مكتب الاخبار التونسية

فتوى شرعية

قدم أحد التونسيين الى حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ يوسف الدجوي من هيئة كبار العلماء في مصر السؤال الآتى :

(س) ما قول ساداتنا العلماء أمتع الله بهم الأمة في رجل مسلم تجنس بجنسية أمة غير مسلمة اختيارا منه والتزم أن تجرى عليه قوانينها بدل أحكام الشريعة الغراء حتى فى الاحوال الشخصية كالنكاح والطلاق والمواريث ويدخل فى هذا الالتزام أن يقف في صفوفها عند محاربتها ولو لأمة إسلامية فهل يكون نبذه لاحكام الشريعة الاسلامية والتزامه لقوانين أمة غير مسلمة طوعا منه ارتدادا عن الدين، وتجري عليه أحكام المرتدين، فلا يصلى عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين أو كيف الحال ؟ واذا كان خلع أحكام الشريعة من عنقه والتزامه لقوانين أمة غير مسلمة ردة، فهل ينفعه أن يقول بعد هذا الالتزام إنى مسلم وأشهد ان لا إله الا الله وأن محمدا رسول الله ؟ أفتونا أعلى الله بكم كلمة الدين وجعلكم من العلماء الراشدين المرشدين

أحد التونسيين النازلين بمصر

فأجاب فضيلة الاستاذ حفظه الله تعالى بما يأتى :

(ج) الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه . وبعد فقد قرأت شيئا من هـذا الموضوع موضوع التجنس بالجنسية

الفرنسية الذي يشير اليه حضرة السائل في سؤاله . وفي تونس الآن حركة تدمى القلوب وتفتت الاكباد ومايراد بتلك الحركة وأمثالها كالظهير البربرى المعروف الا محو الاسلام من تلك البلاد ذات التاريخ المجيد في خدمة الدين والعلم بما أنجبت من أكابر الفضلاء وفحول العلماء وإنه ليجب على المسلمين أن يتيقظوا لما يدبر لهم في الخفاء وما يراد بهم من الاعداء الذين لا يألون جهدا في الكيد لهم والتفنن في وسائل الايقاع بهم والعمل على أخراجهم من دينهم واستعبادهم في أوطانهم والسير بهم في طريق يؤدى الى الكفر لا محاله ، وقد استعملوا لذلك ضروب الحيل وشتى الوسائل ولقد مر بنا من الحوادث ما فيه مزدجر وقام على سوء نيتهم وكذب دعاويهم ما فيه عبرة لأولى الالباب

ان التجنس بالجنسية الفرنسية والتزام ماعليه الفرنسيون فى كل شيء حتى الانكحة والمواريث والطلاق ومحاربة المسلمين والانضمام الى صفوف أعدائهم معناه الانسلاخ من جميع شرائع الاسلام ومبايعة أعدائه على ألا يعودوا اليه ولا يقبلوا حكما من أحكامه بطريق العهد الوثيق والعقد المبرم (وهل بقى بعد هذا من الاسلام شيء) وإن هناك فرقا كبيرا بين من تسوقه الشهوات بسلطانها الشديد الى الزنا وشرب الخمر مثلا وبين من يلتزم هـذه الاشياء مختارا لها على شرائع الاسلام التي نبذها وراء ظهره واعطى على نفسه العهود والمواثيق ألا يعود اليها فان صاحب الشهوة يفعل ما يفعل بمقتضي سلطانها الطبيعي القاهر وهو يتمني

أن يتوب الله عليه فهو معتقد قبح ما يفعل وسوء مغبته، وربما كان قلبه ممتلئا بمحبة الله ورسوله كما قال ﷺ لاصحابه عند مالعنوا ذلك الذي حد في الخمر مرارا لا تلعنوه فانه يحب الله ورسوله فمثل هذا يوشك أن يندم على ما فعل ويتوب مما اقترف وأما حليف الفرنسيين الخارج من صفوف المسلمين طوعا واختيارا مستبدلا لشريعة بشريعة وأمة بأمة مقدما ذلك على اتباع الرسول بلا قاسر ولا ضرورة فلا بد أن يكون في اعتقاده خلل وفي إيمانه دخل واذا حللنا أحواله القلبية ونزعاته النفسية وجدناه منحل العقيدة فاسد الايمان فهو من وادى من قال الله فيهم ﴿ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا . واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا﴾ وهذه الظواهر التى تدل على فساد البواطن ينبغي ان لا نتغافل عنها ولا عن ما صاحبها من تلك القرائن التى تنطق بالبعد عن حقائق الايمان وتدل على سوء المقصد وقبح الغاية (ولله در المالكية في نظرهم البعيد حيث لم يقبلوا التوبة من الزنديق الذى قامت القرائن على كذبه في دعوى الاسلام وان لذلك مدى كبيرا في نفسي فقد كان لهم من بعد النظر وحسن السياسة للشريعة المطهرة ما يعرفنا أنهم بالمحل الاول من الحكمة واليقظة ولولا ذلك لكان الاسلام لعبة في يد هؤلاء الزنادقة ولكان المسلمون لديهم

مثال الغفلة والبلاهة والجهالة فما أسرع ما كانوا يهزؤن بهم ويسخرون من عقولهم وقد رأينا ذلك في ملاحدة مصر حيث يأتي الرجل بالكفر الصريح والالحاد المكشوف والاقذاع الفاحش ثم يكتب على صفحات الجرائد أنه يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر ويقول بعد ذوى القلوب السليمة من العلماء انه ان كان كفر بالامس فقد أسلم اليوم ولم يدر أننا صيرنا الاسلام بذلك هزءة الهازئين وسخرية الساخرين وأضحوكة الزنادقة والملحدين فجزى الله المالكية عن الاسلام خيراً فما أوسع نظرهم وأعرفهم بتلك النفوس الخبيثة ومقدار تفننها في الخبث والدهاء (وما أعظم استعدادها لان تظهر بكل لون وتتشكل بكل شكل) على أننا لو تنزلنا غاية التنزل فلسنا نشك في أن هؤلاء المتجنسين بالجنسية الفرنسية على أبواب الكفر وقد سلكوا أقرب طريق اليه وليس يخفى ضعف النفوس وتأثرها بما تعتاده وتألفه فهي طريق موصلة لغايتها توصيلا طبيعيا لامحالة وقد رأينا المدنية الاوربية وما فعلت بنا والتقاليد الغربية وما أفسدت من أبنائنا الذين سارت بهم مسيرا تدريجيا في طريق الفساد الذى قضى على الدين والآداب والاخلاق قضاء مبرما . ومما لا شك فيه أن أبناء أولئك المتجنسين لا بد أن يكونوا خلوا من الاسلام براء من ذويه لا يعرفون غير الكفر ومحبذيه ولا شك أن الرضا بالكفر كفر والوسيلة تعطى حكم المقصد وما لا يتم الكفر الا به فهو كفر ومن عزم على الكفر بعد خمسين عاما فهو كافر من الآن ولا يمكننا أن نفهم

الا إن هذا استحلال لما حرم الله ورد لما أوجبه سبحانه وتعالى . وبعد فان كان هؤلاء يعتبرون أنفسهم مؤمنين فليعلموا أن الحب فى الله والبغض في الله من الايمان والحب في الشيطان والبغض في الشيطان من الكفر . وليس هناك ميزان صحيح لوزن الايمان الصحيح غير الحب في الله والبغض في الله وقد ورد في الصحيح ان المرء مع من أحب فانه لا يحبه الا إذا كان بينه وبينه تشاكل في النفوس وتوافق في النزعات وتقارب في الاستعداد والا وقع التباين فكانت البغضاء والمقاطعة وقد قال ﷺ «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان » أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف في النار » ويقول ﷺ أيضا «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » ويقول الله عز وجل ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ ويقول ﴿قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين ﴾ ويقول ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ﴾ ويقول عز من قائل ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم﴾

والآية على ظاهرها متى كانت المودة قلبية بالغة ذلك الحد الذي ينم عن ماامتلأت به النفس فان ذلك منبىء عن فساد الايمان ولا بدء وأي حد أبعد من أن يحارب المسلمين ولا يكون في صفوفهم ولا يحرم المحارم ولا يعتبر طلاقا شرعيا ولا زواجا شرعيا ولا ميراثا شرعيا وعلى الجملة فهو رجل اختار غيرنا فلا نقول انه منا وكيف نجعله منا وهو ينادى بأنه ليس منا بل نقول انه فتح بفعله هذا باب الكفر ومهد السبيل لامة بأمرها لخطر الخروج عن حظيرة الاسلام انعاجلا وانآجلا لا قدر الله.

وانا نرى شبها كبيرا بين من يختار أن يسير على شريعة الفرنسيين دون شريعة المسلمين وبين جبلة بن الايهم الغسانى حين لطم الفزارى فأراد عمر رضى الله عنه أن يقتص منه فلم يرض بحكم الدين وفر الى الشأم مستبدلا الاسلام بالمسيحية ﴿ ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ وأما تلفظه بالشهادتين فلا يفيده مطلقا وقد قلنا ان شأنهم مخادعة المسلمين والهزء بهم اذا خلوا الى شياطينهم وأنت تعلم أن هناك مكفرات كثيرة ذكرها العلماء في باب الردة وليس كل من ينطق بالشهادتين يعتبر مسلما كما بينه الفقهاء وقد أكثروا من موجبات الردة خصوصا الحنفية . أو نقول ان هذه الافعال تكذبه فى دعواه الاسلام وتنطق بأن شهادته هذه ليست من قلب ولا عن عقيدة والا لم يأت بما يناقضها ﴿ اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد أنك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون ﴾ ومع ذلك كله فانا نقبله ونرحب به متى جاءنا رافضا ما التزمه من العمل بشريعتهم راجعا الى

حظيرة الاسلام تائبا نادما على ما كان منه والتوبة تجب ما قبلها وقد قال تعالى ﴿ ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير . وان تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير ﴾ فيا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم ولا تغتروا بأساليب الاستعمار وحيل المستعمرين بعد ما اتضح أمرهم وافتضح سرهم ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين وليعلم المسلمون أن الروح التبشيرية والنزعة الصليبية لا تفارقهم على الرغم من تلك الدعاوى الكاذبة فهم مبشرون متعصبون في بلادنا ولو كانوا لا دينيين في بلادهم ولو فرضنا أنهم قهروكم على ذلك وجبت عليكم الهجرة وجوبا لا هوادة فيه والا كنتم ممن يقال لهم ﴿ ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ﴾ والامر أوضح من أن نطيل فيه أو نستدل عليه وهو على مايقول الله تعالى ﴿قد بينا الآيات لقوم يوقنون﴾ ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم ما لك من الله من ولى ولا نصير ﴾ هذا واذا بحثت عن نكبات المسلمين في جميع عصورهم وأدوار تاريخهم وجدتها من علماء السوء وأمراء الهوى . أسأل الله أن يرشد المسلمين الى صلاح أمرهم واتفاق كلمتهم وأن يقيهم شر زلل العلماء وجهل الامراء بمنه وكرمه

يوسف الدجوى
من هيئة كبار العلماء بالازهر الشريف

فتوى علماء الهداية الاسلامية

فى قانون التجنس

وضعت دولة فرنسا في تونس قانونا فتحت به للوطنيين باب التجنس بالجنسية الفرنسية ، ومعنى التجنس بهذه الجنسية أن ينسلخ المسلم عن أحكام الشريعة الاسلامية ويلتزم أن تجرى عليه قوانين فرنسا حتى فى الاحوال الشخصية ـ كالنكاح والطلاق والمواريث ـ وأن يقف فى صفوفها عند محاربتها ولو لأمة إسلامية ، وأن يكون أولاده ومن يتناسل منهم فرنسيين كذلك

وقد ألفت جمعية الهداية الاسلامية لجنة من أفاضل علمائها تحت رياسة حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ على محفوظ وكيل الجمعية والمدرس بكلية أصول الدين ، وبحثت اللجنة مسألة التجنس ، فرأت ان الادلة القائمة على ردة المتجنس قاطعة ، فكتبت فتوى بذلك وقدمتها الى مجلس ادارة الجمعية فقرر نشرها بالصحف تحذيراً للمسلمين من الوقوع فى هاوية الارتداد عن الدين . وقد جاءت هذه الفتوى موافقة لما أفتى به جماعة من جلة العلماء أمثال حضرات أصحاب الفضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى والشيخ

محمد شاكر من هيئة كبار العلماء بمصر والشيخ ادريس الشريف محفوظ مفتي بنزرت وغيرهم

ولم تكتف فرنسا بوضع هذا القانون الذى تفسد به على المسلمين أمر دينهم ، بل استعملت القوة فى دفن هؤلاء المرتدين فى مقابر المسلمين

فجمعية الهداية الاسلامية تنكر على الدولة الفرنسية استعمال القوة في دفن هؤلاء المرتدين فى مقابر المسلمين وترى أن فى هذا العمل اهانة للمسلمين واستخفافاً بشعورهم واعتداء عليهم فى ناحية من نواحى دينهم ، وتنتظر من الدولة الفرنسية أن تدرك قبح هذا الاعتداء وتعرف ما ينتج عنه من سوء العاقبة وتعدل عن اضطهاد المسلمين فى تونس واكراههم على أن يعدّوا المتجنسين مسلمين ويقبلوا دفن جثثهم وهم مرتدون عن الدين فى مقابر معدة لدفن أموات المسلمين

وهذا نصّ الاستفتاء والفتوى :

ما قول ساداتنا العلماء ـ أمتع الله بهم الامة ـ في رجل مسلم تجنس بجنسية أمة غير مسلمة اختيارا منه ، والتزم أن تجرى عليه أحكام قوانينها بدل أحكام الشريعة الغراء حتى فى الاحوال الشخصية كالنكاح والطلاق والمواريث ، ويدخل في هذا الالتزام أن يقف في صفوفها عند محاربتها ولو لأمة إسلامية ، كما هو الشأن في التجنس بالجنسية الفرنسية الآن فى تونس

فهل يكون نبذه لأحكام الشريعة الاسلامية ، والتزامه لقوانين أمة غير مسلمة طوعا منه ارتدادا عن الدين ، وتجرى عليه أحكام المرتدين ، فلا يصلى عليه ، ولا يدفن فى مقابر المسلمين ، أو كيف الحال ؟ وإذا كان خلع أحكام الشريعة من عنقه ، والتزامه لقوانين أمة غير مسلمة ردة ، فهل ينفعه أن يقول بعد هذا الالتزام إنى مسلم وأشهد ألا اله الا الله وأن محمداً رسول الله ؟ أفتونا . أعلى الله بكم كلمة الدين ، وجعلكم من العلماء الراشدين المرشدين

أحد التونسيين النازلين بمصر

الفتوى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وآله وصحبه ومن والاه * أما بعد فان التجنس بجنسية أمة غير مسلمة على نحو ما في السؤال هو تعاقد على نبذ أحكام الاسلام عن رضا واختيار ، واستحلال لبعض ماحرم الله ، وتحريم لبعض ماأحل الله ، والتزام لقوانين أخرى يقول الاسلام ببطلانها ، وينادى بفسادها

ولا شك ان شيئا واحدا من ذلك لا يمكن تفسيره إلا بالردة ولا ينطبق عليه حكم إلا حكم الردة ، فما بالك بهذه الاربعة مجتمعة فى ذلك التجنس الممقوت ؟

١ — إن الله تعالى يقول فى نبذ أى حكم من أحكام الشريعة:

﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾

٢ — ويقول جل شأنه فى النسيء، وهو من جملة استحلال الحرام وتحريم الحلال: ﴿ إنما النسيء زيادة فى الكفر [1] يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله، فيحلوا ما حرم الله، زين لهم سوء أعمالهم، والله لا يهدى القوم الكافرين ﴾

٣ — ويقول تعالى فيمن التزم شريعة أخرى غير الاسلام ﴿ ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ﴾ أضف الى ما سبق أن التجنس المذكور فيه موالاة للكفار، ونصرة لهم على المسلمين، وفيه تعاقد على أن هذا المتجنس يقف فى صف الامة غير المسلمة اذا نفر النفير ولو ضد أمة اسلامية

ومثل هذه الموالاة ينعى الله على أصحابها، ويعتبرهم من جملة من والوهم، ويسمهم بالظلم، ويتوعدهم بأنه لا يهديهم، ويصفهم

(١) النسيء فى الآية الكريمة معناه تأخير حرمة شهر الى شهر آخر. وقد كان العرب اذا جاء شهر حرام وهم محاربون أحلوه وحرموا مكانه شهرا آخر. فأنزل الله هذه الآية نهيا لهم عن هذا النسيء، وبين لهم أنه زيادة فى الكفر لانه تحليل ما حرمه الله وتحريم ما حله، فهو كفر مضموم الى كفرهم

بمرض القلوب وبالجبن والخوف ، ويفند مزاعمهم في احتجاجاتهم الباطلة ، وينادى على لسان المؤمنين بحبوط أعمالهم وبخسرانهم ، ثم يحكم أخيرا سبحانه بردتهم ، وينذرهم بالفناء والزوال وأن يستبدل بهم قوما خيرا منهم . قال جلّ ذكره في بيان ذلك كله :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فانه منهم ، إن الله لا يهدى القوم الظالمين ، فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتى بالفتح أوأمر من عنده فيصبحوا على ماأسرّوا في أنفسهم نادمين ، ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد ايمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ﴾

ثم إن مثل التجنس الفرنسي المذكور فيه فوق ما ذكر مودة لدولة تحادّ الله ورسوله ، وتشاقّ المسلمين ، وتستعمر ديارهم قوة واقتدارا ، وتذيقهم كأس الظلم والارهاق ألوانا ، وتعمل على تنصيرهم بكل الوسائل والحيل . والله جلت قدرته يقول :

﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم ﴾

النطق بالشهادتين

أما النطق بالشهادتين مع التردّى فى هذه البؤر الخبيثة الموجبة للردة ، ومع عدم الاقلاع عنها والتبرؤ منها والندم عليها ؛ هذه الشهادة على تلك الحال لاتنفع صاحبها شيئاً وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم ، لان الشهادتين انما كانتا دليلا على الاسلام باعتبار أنهما عقد بين العبد وربه على احترام أحكام دينه ، والرضا عنه وعن تشريعه ، وعدم تخطيه الى شريعة أخرى . فاذا قامت قرينة ظاهرة تدل على عدم الاذعان لمقتضى هاتين الشهادتين لم يقبل إسلام من نطق بهما ، كمن يقول كلمة التوحيد وهو يسجد لصنم ، وكمن يقول أنا أؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وهو يهين كتاب الله . فما بالك بالتجنس الآنف وهو جريمة متألفة — كما علمت — من أربع جرائم كل منها يكفى قرينة ظاهرة تدل على عدم الاذعان لكلمة الاسلام ، وعلى ترك القيام بحقها .
وما مثل هؤلاء إلا كمثل من قال الله فيهم : ﴿ ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيداً ، واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً ﴾
ان الله تعالى سمى أمثال هؤلاء منافقين ، واعتبرهم أشد من

الكفار الظاهرين ، وقال فيهم : ﴿ ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً ﴾ ، وفضحهم أشنع الفضيحة فى سورة التوبة ، ونهى رسول الله ﷺ أن يصلى على أحد منهم مات أبدا أو يقوم على قبره ، مع أنهم كانوا يصلون بصلاة رسول الله ، وكانوا يقفون فى صف الجهاد معه ، وكانوا يظهرون خضوعهم لاحكام الله . فكيف أنت بهؤلاء المتجنسين الذين رضوا بالوقوف فى صف الجهاد مع فرنسا ولو ضد الاسلام ، وأظهروا التبرؤ والانسلاخ من أحكام الله ، وضووا علانية تحت قانون ضد دين الله

ان أمثال هؤلاء زنادقة لم يكفهم أن يخرجوا من الاسلام ومن زمرة المسلمين ، بل زادوا على ذلك بان استخفوا بالاسلام وبالمسلمين ، فهم أشد ممن قال الله فيهم ﴿ واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا إنا معكم انما نحن مستهزئون الله يستهزىء بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ﴾ . نعم زنادقة اليوم أشد من منافقى الامس ، لان أولئك كانوا يتسترون فى انضمامهم الى العدو ، وكانوا يستحيون أن يقولوا لشياطينهم انا معكم الا حين يخلون اليهم . أما مرتدو اليوم فقد انسلخوا عن الاسلام فى جرأة ، وناصروا العدو فى عقد مكتوب محكم لا يسمح لهم ولا يسمحون هم لانفسهم أن يرجعوا عنه يوما ، أو

يتهاونوا في احترام نصوصه أبدا . وان الله تعالى يقول : ﴿ اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد أنك لرسول الله والله يعلم أنك لرسوله والله يشهد أن المنافقين لكاذبون اتخذوا أيمانهم جُنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون ﴾ وان الرسول ﷺ يقول « لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » رواه البخارى

هل لهؤلاء من عذر ؟

ولا عذر لهؤلاء المتجنسين لأنهم ليسوا بمكرهين حتى نقول ماقال الله : ﴿ من كفر بالله بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ﴾ ، بل هم مختارون راضون كما يقول السؤال . وليس ماينتظرونه وراء التجنس من حطام الدنيا وحظوظ العاجلة بمسوّغ لهذا التجنّس ، بل يجب أن يفر المرء بدينه متى استطاع وان ذهبت دنياه . اقرأ ان شئت قوله تعالى : ﴿ قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لايهدى القوم الفاسقين ﴾

ان الشارع أوجب الهجرة من دار الكفر ان خاف المسلم على نفسه الفتنة ، وتوعد الله سبحانه أولئك الذين يبقون فى أوطانهم

بين الفتنة وهم قادرون على الهجرة فقال جل من قائل : ﴿ ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا ﴾

هل لهؤلاء من توبة ؟

بقي الكلام على التوبة هل تقبل من هؤلاء أو لا ؟ والجواب أنها تقبل ، ولكن على معنى أن التوبة إصلاح للماضي بالندم على مافرط فيه ، وإصلاح للحال بالاقلاع من الذنب فورا ، واصلاح للمستقبل بالعزم على عدم العود الى ذلك الاثم ابدا

أما التائب الذي لم يقلع عن ذنبه فهو كالمستهزىء بربه وما يأتيه ليس بتوبة ، انما هي حوبة جديدة وا كذوبة سخيفة اذ يقول « تبت » وما تاب ، و « رجعت » وما يرجع ، مع أن ربه عليم بذات نفسه ، لا تخفى عليه خافية

فهؤلاء المتجنسون إن نبذوا عقد التجنس ، وخرجوا عن مقتضياته ، وندموا على مافرط منهم ، ورجعوا الى أحكام الله واحترامها وصمموا ألا يعودوا الى ذلك التجنس ابدا ؛ إنهم ان فعلوا ذلك فقد تابوا حقا ﴿ والتائب من الذنب كمن لاذنب له ﴾ . أما إن بقوا على احترامهم لعقد التجنس ، ونبذهم لعقد الله فأولئك لا يقبل

الله منهم صرفا ولا عدلا ، ولو ملأوا الارض من كلمة التوحيد ، ومن ألفاظ التوبة والاستغفار ، ومن مظاهر الصلاة والصوم والصدقة . قال تعالى ﴿ والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب ﴾ .

نصيحتنا

واننا ننصح لاخواننا المسلمين أن يتيقظوا لما يراد بهم في هذا الزمان من اعداء الاسلام واعوانهم ممن يزعمون الاسلام ؛ فاننا أصبحنا فى فتن كقطع الليل المظلم ، فيها يصبح الرجل مسلما ويمسى كافرا ويمسى مسلما ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض الدنيا والمؤمن من فرّ بدينه من الفتن ، والعاقل من اعتبر بحوادث الزمن ، ويكفى ما نحن فيه ؛ فقد طفح الكيل ، وبلغ السيل الزبى واتسع الخرق على الراقع . نسأل الله السلامة ، وانا لله وانا اليه راجعون

التوقيعـــــات

رئيس اللجنة	أمين اللجنة
على محفوظ	محمد عبد العظيم الزرقانى
المدرس بكلية أصول الدين بالازهر	من علماء الازهر